محاضرات في فقه اللغة لطلبة السنة الأولى ليسانس :المجموعات: أ، ب، ج

الدكتور باديس لهويمل * 2021/04/11.

أولا: في المصطلح:

الفقه : في اللغة هو فهم الشيء والعلم به .وقد غلب هذا المصطلح على علوم الدين .

(اللغة):اللغة مشتقة من لغا يلغو: إذا تكلم؛ فمعناها الكلام؛ فهذا تعريفها في اللغة.

وفي الاصطلاح لها تعريفات مختلفة منها تعريف ابن جني: **((حد اللغة: أصوات يعبّر بها كل قومٍ عن أغراضهم))**وتبرز في هذا التعريف أهم مكونات حد اللغة عند المحدثين وهي :

1_ أصوات منطوقة. 2 _ وأن وظيفتها التعبير عن الأغراض والمقاصد (الحاجات والرغبات التي نريدها)

3_وأنها تكون بين قوم يتفاهمون بها. 4 _ وأن لكل قوم لغة.

فقه اللغة : ويعني في اللغة فهم اللغة وفي الاصطلاح يعني : ((العلم الذي يعنى بدراسة قضايا اللغة؛ من حيث أصواتها، ومفرداتها، وتراكيبها، وخصائصها الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، وما يطرأ عليها من تغييرات، وما ينشأ من لهجات، وما يثار حول العربية من قضايا، وما تواجهه من مشكلات إلى غير ذلك مما يجري ويدور في فلكها.))

ويمكن أن نعرّفه تعريفاً موجزاً، فنقول :هو العلم الذي يعنى بفهم اللغة، ودراسة قضاياها، وموضوعاتها.

علم اللغة : هو العلم الذي يدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها دراسة تاريخية، ومقارنة، ودراسة للهجات والأصوات مستعيناً بوسائل علمية، وآلات حديثة.

والفرق بينه وبين فقه اللغة نلخصه في:

أ- فقه اللغة من حيث الظهور كمصطلح أقدم من علم اللغة.

ب-فقه اللغة أوسع في الدراسة من علم اللغة. فميدان فقه اللغة أوسع وأشمل لأن هدفه الحياة العقلية للشعوب والأمم بينما ميدان علم اللغة هو وصف اللغة وتحليل تراكيبا.

ج-فقه اللغة دراسته تاريخية، وعلم اللغة دراسته وصفية تحليلية. فمنهجية فقه اللغة تقوم على دراسة اللغة وسيلة لمعرفة الأدب والحضارة ، بينما يدرس علم اللغة اللغة في ذاتها.

ملاحظة:

بعض المؤلفين المُحدَثين يفرق بين المصطلحين، وبعضهم يجعلهما شيئاً واحداً؛ باعتبار أن العلم والفقه شيء واحد .

والحقيقة أن هذا الخلاف طارئ على العربية؛ إذ الكلمتان من _ الناحية اللغوية _ معناهما واحد، وقد وردا في تراثنا العربي كذلك؛ فنجد لابن فارس كتاب"الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها"، وللسيوطي كتاب :المزهر في علوم اللغة .

ولم يقصد السيوطي مخالفة ابن فارس، بل كانا يرميان إلى أهداف متقاربة: من خدمة العربية، وبيان خصائصها، والوقوف على سنن العرب في كلامهم، والحديث عن القضايا اللغوية العامة .

فإذا اسْتُخْدِمَ مصطلح فقه اللغة باعتباره شاملاً لدراسة اللغة بعامة فهو الأنسب؛ لأنه مستخدم في عربيتنا، وارِد في تراثنا .

(ينظر: محمد بن إبراهيم الحمد :فقه اللغة مفهومه موضوعاته وقضاياه، ص20 وما بعدها، ومقدمة فقه اللغة د. محمد أحمد أبو الفرج ص١٢_٢٤، **وفقه** اللغة العربية وخصائصها د. إميل يعقوب ص٢٨_٣٦).

ثانيا: موضوعات فقه اللغة: هي كثيرة وعديدة ومتداخلة فيما بينها ، ولعلّ أبرزها :

1- ١ -القول في أصل اللغة، والخلاف في ذلك.
2- ٢ -خصائص اللغة العربية، وما تنطوي عليه من أسرار وجمال.
3- ٣ -معرفة سنن العرب في كلامهم، وأساليبهم.
4- ٤ -علم الأصوات اللغوية.
5- ٥ -لهجات العرب، واختلافها.
6- ٦ -بنية الكلمة العربية وهو ما يسمى بالصرف.
7- ٧ -الجملة، أو التركيب وهو ما يسمى بالنحو.
8- ٨ -دلالة الألفاظ،أو معانيها.
9- ٩ -تطور دلالة الألفاظ، وانحطاطها.
10- ١٠ -الاشتقاق بأنواعه.
11- ١١ -المشترك والمترادف والمتضاد، والنحت.
12- ١٢ -التعريب وضوابطه.
13- ١٣ _المعاجم العربية، ومدارسها، ومناهج أصحابها .
14- ١٤ -مسألة تنقية اللغة.
15- ١٥ -ما تواجهه العربية من عقبات ومشكلات، وما يحاك ضدها من مؤامرات.
16- ١٦ -مواكبة العربية للجديد، واستيعابها للمصطلحات الجديدة كالمصطلحات الطبية، والصناعية وغيرها.
17- ١٧ -جهود العلماء في هذا الباب في القديم والحديث.
18- ١٨ -قضايا الدعوة إلى العامية، وترك الإعراب، وإصلاح الخط العربي، وما إلى ذلك.
19- ١٩ -العناية بالدراسات التي تقوم بها المجامع اللغوية، وما يتمخّض عنها من نتائج وقرارات.

ثالثا: فائدة دراسة فقه اللغة وثمرة ذلك:

لسائل أن يسأل :ما الهدف من دراسة فقه اللغة، وما الثمرة المرجوة من ذلك؟ وما الغاية التي يراد الوصول إليها من خلاله؟

والجواب أن يقال :

-**الاعتزاز باللغة العربية :**فدراسة اللغة دراسة علمية تجعلنا ندرك ميزاتها، وتمكننا من معرفة أسرارها.

- **الوقوف على شيء من بديع صنع الله** _ عز وجل :_فدراسة الأصوات اللغوية _ على سبيل المثال _ تطلعنا على الجهاز الصوتي الذي يعد آية من آيات الإبداع الإلهي.

- **التمكن من النطق السليم**: فمعرفة مخارج الأصوات، وصفاتها وما يترتب.

-مواجهة ما يحاك ضد العربية :كاتهامها بالصعوبة، والجمود، وكالمناداة بترك الإعراب، والتوجه إلى العامية، وكتابة الحروف بحروف جديدة إلى غير ذلك من الدعاوى التي تحاك ضد العربية، والتي يراد منها هدم الدين، أو التشكيك فيه، أو إضعاف أثره في نفوس أهله.

-تعظيم السلف الصالح: فالوقوف على ما بذلوه من جهود جبارة في سبيل خدمة لغة القرآن يبعث في نفس المُطَّلع على ذلك إجلالَ أولئك العلماء وتعظيمهم، والحرص على أن يبني كما بنوا.

-د الحاجة، ومواكبة التطور: فالعلم باللغة، والوقوف على دلالتها يسد حاجة عظيمة، سواء في تعريب الألفاظ، أو الاستغناء عن المصطلحات الدخيلة، أو في بيان المقصود مما يفد إلى أمتنا من ألفاظ، أو أخلاق، أو مصطلحات، كمصطلح العلمانية مثلاً، أو مصطلح الإرهاب أو غير ذلك؛ فإذا نقلناه كما هو معروف عند الغرب أحدث عندنا خلطاً وبلبلة. (ينظر ص26 من المرجع نفسه)

رابعا: علاقة فقه اللغة بالعلوم الأخرى :

*علاقة فقه اللغة بالعلوم الشرعية عموماً :

فإن لها ارتباطاً وثيقاً بفقه اللغة؛ من حيث دلالة الألفاظ، ومعرفة الغريب، واصطلاحات الناس.

*علاقة فقه اللغة بعلم الطب: إذ يفيد الطب من فقه اللغة في إيجاد البدائل للألفاظ الطبية، واختصار المصطلحات الطويلة عن طريق النحت،أو التعريب .

كما أن علم فقه اللغة يفيد من علم الطب والتشريح ووظائف الأعضاء من جهة كيفية إصدار الأصوات عند الناطقين.(مخارج الحروف.)

*علاقة فقه اللغة بعلم النفس: العلاقة بين علم النفس وفقه اللغة علاقة عكسية إذ يفيد علم النفس من فقه اللغة في تفسير بعض المشاكل النفسية التي يعاني منها الانسان من خلال توظيف مفردات اللغة في كشف هذه المشكلات كما أن علم النفس من العلوم التي تعين على فهم اللغة، وتحليلها،وإدراك كثير من مسائلها.

*علاقة فقه اللغة بالتاريخ والجغرافيا: فإنهما يساعدان الباحث اللغوي كثيراً؛ عن طريق الإفادة من تطبيقاتهما البحثية في هذا العلم فبواسطتهما يمكن تفسير قضايا انتشار اللغة، وانحسارها، وحدوث اللهجات، ودخول الألفاظ الجديدة وغيرها.

خامسا: ظهور فقه اللغة وأهم جهود القدماء فيه:

يعدّ القرن الرابع الهجري عصر ازدهار العلوم اللغوية؛ ففي هذا القرن وُجد عدد كبير من علماء اللغة الذين أَثْرَوْا المكتبة العربية بتآليفهم اللغوية. ومنها خاصة المعاجم اللغوية ، وكتب القراءات القرآنية، والنحو والصرف، والأصوات، فيها برز اهم مؤلفات فقه اللغة وأولها:

. **والبداية الحقيقية لفقه اللغة، وظهوره كعلم مستقل** في العربية يؤرّخ لها بعالمين من علماء اللغة الكبار في القرن الرابع؛ حيث كان لهما أكبر الأثر في التأليف في (فقه اللغة) وتعد مؤلفاتهما البداية الحقيقة لإفراد هذا العلم بكتب خاصة.

الأول: أبو الحسين أحمد بن فارس ت395هـ: الذي ألف مجموعة من الكتب اللغوية وغيرها، ومنها كتاب: (الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها).

وترجع أهميةُ هذا الكتاب إلى أمور عديدة لعل أهمها كونه أول كتاب في العربية يحمل اصطلاح (فقه اللغة).

وبه تأثر المؤلفون من بعده، واتخذوا هذا الاصطلاح فناً لغوياً مستقلاً.

وقد عالج ابن فارس رحمه الله في كتابه (الصاحبي) عدداً من الموضوعات التي تعد من صميم فقه اللغة، وجمع في كتابه ما تفرق في كتب من سبقه.

قال رحمه الله في مقدمة كتابه: "والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مُفرّق في أصناف العلماء المتقدمين _رضي الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء_ وإنما لنا فيه اختصار مبسوط، أو بسط مختصر، أو شرح مُشكّل، أو جمع متفرق).

ثم بعد ذلك شرع رحمه الله في أبواب الكتاب التي تعد النواة الأولى في فقه اللغة، وذلك كحديثه عن نشأة اللغة، والخط العربي، وعن خصائص اللغة، ومزاياها.

وكحديثه عن اختلاف اللغات، وأقسام الكلام، ومعاني الحروف.

وكحديثه عن الخطاب المطلق والمقيد، وعن الحقيقة والمجاز، والقلب، والإبدال، والعموم، والخصوص، والحذف والاختصار، والاتباع، والنحت، والإشباع، وغيرها.

وبالجملة فإن الكتاب يحتوي على 207 من الأبواب.

الثاني: أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ) : وله فيما يعد من صميم فقه اللغة كتابان جليلان.

أولهما: كتاب (الخصائص): حيث عالج فيه كثيراً من قضايا فقه اللغة، وقدم نظريات وآراء تجاري أو تفوق أحدث ما قال به العلماء في العصر الحديث.

وقد تحدث في كتابه المذكور عن موضوعات كثيرة تعد من صميم فقه اللغة.

ومنها حديثه عن أصل اللغة، ومقاييس العربية، وتداخل اللغات، والاشتقاق الأكبر، والإدغام، والعلاقة بين الألفاظ والمعاني، والتقديم والتأخير، واستخلاص معاني الأوصاف من المعاني، والإبدال.

أما كتابه الثاني فهو: (سر صناعة الإعراب): وقد خصه ابن جني لدراسة الأصوات؛ فكان أول عالم في العربية يفرد هذا البحث بكتاب مستقل؛ حيث كان قبله يُدْرَسُ ضمن بحوث النحو كما في كتاب سيبويه، والمقتضب للمبرد.

وقد قدم ابن جني في كتابه مباحث قيمة في علم الأصوات مستفيداً من سابقيه، ومضيفاً إليه الكثير؛ فهو في مقدمته يتحدث عن الفرق بين الصوت والحرف، وهو يُشَبِّه الحلق والفم بالناي، ويذكر أن الحركات أبعاض حروف المد.

ثم يتحدث عن الحروف، ومخارجها، وأجناسها، ومدارجها، وفروعها المستحسنة، والمستقبحة، وذكر خلاف العلماء فيها مستقصىً مشروحاً.

وبعد ذلك يعقد لكل حرف من حروف العربية مرتبة على الحروف الألفبائية باباً يتكلم فيه على صفاته، ومخرجه، وما يعرض له من قلب، أو إبدال، أو إدغام، كما يتعرض لكثير من القضايا النحوية.

كما تحدث عن تصريف حروف المعجم، واشتقاقها، وجمعها، كما تحدث عن مذهب العرب في مزج الحروف بعضها ببعض، وما يجوز من ذلك وما يمتنع، وما يحسن وما يقبح إلى غير ذلك مما حفل به ذلك الكتاب.

والناظر في هذا الكتاب يلحظ فيه مزايا عديدة منها على سبيل الإجمال: غزارة المادة، والوضوح، والسهولة، والشمول، والاستقصاء.

وقد طبع هذا الكتاب مؤخراً في مجلدين طبعة طيبة معتنى بها كثيراً، حيث درسها وحققها د. حسن هنداوي، وقد قدم للكتاب بمقدمة رائعة بين فيها شيئاً من سيرة ابن جني، وأردفها بحديث ماتع عن الكتاب، وعن سبب تسميته، وعن بعض مزاياه.

كتب أخرى مؤلفة في فقه اللغة:

ظهر بعد الكتب السالفة كتب كثيرة في فقه اللغة منها على سبيل المثال ما يلي:

1_ فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي430هـ: ويعد الكتاب الثاني الذي وصل إلينا حاملاً مسمى (فقه اللغة) بعد كتاب (الصاحبي) لابن فارس.

وعنوان هذا الكتاب لا يطابق مسماه تماماً؛ إذ هو معجم للمعاني في مجمله،

وفيه بعض الفصول في فقه اللغة، كحديثه عن أساليب العربية في التعبير من حقيقة ومجاز، وتقديم وتأخير، وحذف واختصار. وفيه حديث عن الإبدال، والقلب، والنحت، وغيرها.

2_المخصص لابن سيده ت458هـ: وهو معجم قَيِّم ضمنه بعض المباحث في نشأة اللغة، والترادف، والتضاد، والاشتراك، والتعريب، والتذكير، والتأنيث، والمقصور والمنقوص.

3_ المُعَرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم لأبي منصور الجواليقي ت540هـ: وقد قدم له بالحديث عن الألفاظ المُعَرَّبة، ومذاهب العرب في استعمال الأعجمي، وكيف نتعرف على ذلك.

4_ المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ت911هـ. وهذا الكتاب موسوعة في علوم اللغة، وقد ضمنه موضوعات لغوية عديدة اقتبسها من كتب السابقين، ورتبها وعرضها عرضاً جيداً؛ حيث جعل مُؤَلَّفهُ في خمسين نوعاً: ثمانية في اللغة من حيث الإسناد، وثلاثة عشر من حيث لطائفُها ومُلَحُها، وواحداً راجع إلى حفظ اللغة وضبط مفاريدها، وثمانية راجعة إلى حال